

في هذا الفصل سنحاول معالجة بعض النقاط الرئيسية التي لا بد من التطرق لها لصقل المزيد من الأفكار والمفاهيم حول المدينة والحياة فيها, وأولى هذه النقاط المراد معالجتها هي نشأة المدينة وتطورها, وكذا التعرف على أبرز مميزات المدينة, بعدها ننتقل إلى معالجة فكرة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ألا وهي مداخل دراسة المدينة, ثم وظائف المدينة بعدها نتطرق إلى ذكر معظم المشكلات التي تخترق ساحة المجتمع الحضري, هذا فيما يخص المدينة بصفة عامة, ولتقريب الصورة أكثر سوف نسلط الضوء على المدينة في الجزائر.

1- نشأة المدينة وتطورها:

من المعروف أن الإنسان عرف المدينة منذ أقدم العصور, غير أن طبيعة المدن وخصائصها اختلفت اختلافا كبيرا عبر مراحل التطور التاريخي, كما تفاوتت هذه الخصائص من مكان إلى آخر.

وتعود نشأة المدن إلى العديد من العوامل المتداخلة والمعقدة, كما أن نموها وتطورها قد ارتبط بالعديد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية, الأمر الذي أولاه علماء الاجتماع أهمية كبيرة¹.

ويرى مفورد أن المدينة تمر بالمراحل الآتية :-

1-1- مرحلة النشأة Eopolis:

ويقصد بها المدينة في فجر قيامها, وفي هذه المرحلة تنضم بعض القرى لبعضها البعض, وتشهد الحياة الاجتماعية إلى حد ما نوعا من الاستقرار. وقد قامت المدينة في هذه المرحلة بعد اكتشاف الإنسان للزراعة, واستئناس الحيوان وتربية الطيور, وقيام الصناعات اليدوية و الحرفية البسيطة, واكتشافه للمعادن, وهكذا ظهرت المدن الأولى في العصر الحجري الحديث وعصر اكتشاف المعادن².

1 - هالة منصور, محاضرات في علم الاجتماع الحضري, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية, مصر, 2001, ص 81 .
2 - حسين عبد الحميد احمد رشوان , مشكلات المدينة- دراسة في علم الاجتماع الحضري-, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, مصر, 2005, ص 19.

2-1- مرحلة المدينة Polis:

إن التنظيم الاجتماعي والإداري والتشريع للمدينة يمتاز بالوضوح, وتنبثق فيها التجارة, وتتسع الأسواق المتبادلة, وتتوسع الأعمال والوظائف والاختصاصات, وتتسم بالتمييز الطبقي بين مختلف الفئات, واتساع أوقات الفراغ, وظهور الفلسفات ومبادئ العلوم النظرية, عقد المناظرات والمساجلات, وقيام المؤسسات والفنون ونشأة المدارس, والاهتمام بالفلك والرياضيات¹.

3-1- المدينة الكبيرة Metropolis:

تتفرد المدينة الكبيرة بمميزات خاصة ويبرز شأنها في حدود الإقليم الذي تقع فيه, فهي تتمتع بمقومات طبيعية جذابة كتوفر الرواسب المائية والتربة الخصبة, كما تتوفر على الطرق السهلة وتربطها بالريف بشبكة من المواصلات السريعة. وتمتع المدينة بهذه المميزات يجعل منها مكان جذب للعديد من السكان, وبهذا يتسع نطاقها وتتعدد نشاطاتها وخدماتها, وقد تصل بعض هذه المدن إلى عاصمة منطقة أو دولة وتصبح هي المركز الرئيسي للحكومة أو الإدارة المحلية, وتتركز فيها كل العوامل, النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحيث تصبح بحق هي المدينة الأم.

4-1- المدينة العظمى Megalopolis:

تعتبر هذه المرحلة بداية انحلال المدينة وأولى مراحل سقوطها وانهيارها, وتبرز الطبقة الرأسمالية وتصبح هي المتحكمة في إدارات الحكومة, وفي شؤون الحكم والسياسة, تأخذ الفردية في الظهور وتزداد أسباب الصراع بين طبقة أصحاب رؤوس الأموال والعمال, ويؤدي هذا الصراع إلى حدوث الأحزاب وأعمال التدمير والتخريب, وقيام الحكومات المحلية بأعمال القمع والتعذيب والتشريد, كل هذا يؤدي إلى حدوث العديد من الانحرافات والجرائم².

5-1- مرحلة المدينة الطاغية Myrannopolis:

¹ - حسين عبد الحميد احمد رشوان, المرجع السابق, ص 20.

² - غريب محمد سيد احمد, مرجع سابق, ص 87-88.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

وتمثل أعلى درجات السيطرة الاقتصادية للمدينة, ففيها تعتبر مسائل الميزانية والضرائب والنفقات, من أهم الميكانيزمات المسيطرة, كما تبدو المشكلات الإدارية الفيزيائية والسلوكية الناجمة عن كبر الحجم, من سيشهد هذا حركة واسعة النطاق من جانب سكانه للارتداد مرة أخرى إلى الريف, أو إلى مناطق الضواحي والأطراف هروبا من ظروف العيش غير المرغوبة.

1-6- مرحلة المدينة المنهارة Nekropolis:

ويمثل هذا النموذج من المجتمع الحضري نهاية المطاف في مراحل التطور التاريخي ومع أنه لم يتحقق بعد, إلا أنه واقع لا محال في نظر ممفورد عندما يصل التفكك إلى ذروته على أثر حرب أو ثورة أو انقلاب, فتألف الحضرية وتحيا الريفية, وتظهر ما أسماه ممفورد "بمدن الأشباح"¹.

2- مميزات المدينة:

1-2- مركز المدينة: هي منطقة الخدمات الرئيسية التي تحتوي على الأنشطة والمتطلبات المعيشية التي تخدم المدينة.

2-2- المنطقة السكنية: وهي الأحياء والمجاورات السكنية بأنواعها المختلفة.

2-3- شبكة المواصلات: وهي الطرق بأنواعها والسكك الحديدية.

2-4- الخدمات الاجتماعية العامة: وهي التي لا تتمركز في قلب المدينة كالمستشفيات والمدارس.

2-5- المنطقة الصناعية: وهي التي تحتوي على المصانع والورشات الكبيرة.

¹ - حسين عبد الحميد احمد رشوان, مشكلات المدينة- دراسة في علم الاجتماع الحضري-, مرجع سابق, ص 22.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

2-6- المساحات الخضراء والمفتوحة: وتشمل المنتزهات والملاعب لما لها من دور

جمالي وايكولوجي في المحيط¹.

3- مداخل دراسة المدينة:

هناك مداخل أساسية تتبع عند محاولة دراسة الظواهر الحضرية كما تستخدم في الوصف السوسولوجي والتحليل العلمي لهذه الظواهر, وهذه المداخل هي:

3-1- مدخل التحليل النموذجي:

ينظر إلى التحليل النموذجي باعتباره منهجا قائما بذاته, ويتوصل إليه الباحث عن طريق تحديد الخصائص الملازمة لموضوع أو ظاهرة معينة, والوصول بها إلى نهايتها المنطقية وصورتها الكاملة, بغض النظر عن مكان تتبعها في الواقع, أو وجودها بصورتها المنطقية هذه في مكان ما, ولهذا فمن الصعب أن نلتزم واقعا تجريبيا لهذه الخصائص. ونجد أن العديد من الباحثين الألمان قد مالوا إلى هذا المنهج من أمثال الباحث تونيز خاصة عندما حاول المقارنة بين ما أسماه المجتمع و المجتمع المحلي. فالنمط النموذجي للمدينة هو محاولة لرسم صورة الخصائص العامة الملازمة للحياة الحضرية التي توجد دائما في المدينة. ولا يمكن التوصل عمليا إلى هذا النموذج, نظرا للاختلافات الواضحة بين أنماط المدن في الواقع, من حيث الحجم والتاريخ الثقافي والاجتماعي والوضع الاقتصادي وتقسيم العمل وطابع التوجيه الإيديولوجي العام للمجتمع بأسره².

3-2- مدخل مركب السمات:

¹ طويل فتحة, السياسة الحضرية ومشكلاتها الاجتماعية في المناطق الصحراوية-دراسة ميدانية في مدينة بسكرة-, مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع التنمية, كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية, قسم علم الاجتماع, 2003-2004, غير منشورة, ص 10.
² - محمد عاطف غيث, علم الاجتماع الحضري-مدخل نظري- دار النهضة العربية, بيروت, لبنان, 1982, ص-ص 113-115.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

وهو متصل بالمدخل الأول أي المدخل النموذجي, وكل الخلاف يقع في أن مدخل مركب السمات يستخدم صفات ملموسة أو متغيرات يمكن إدراكها في الواقع, كما أن إيراد هذه الصفات والمتغيرات يكون بصورة يفهم منها أنها مرتبطة إحداها بالأخرى علمياً. وقد يضم المجتمع الحضري (المدينة) آلاف من الناس, كما قد يضم أحياناً ملايين منهم وسمة هذا المجتمع البارزة؛ هي أنه مجتمع لا يمكن أن يعيش منعزلاً لأن وجوده يفترض بدهاء مجموعة خدمات تسهل عليه سبل العيش.

3-3- مدخل المتصل الريفي الحضري:

يدور هذا المدخل حول اعتبار الريف والحضر امتداداً واحداً حيث يمكن أن نلاحظ تدرجاً مستمراً بين ما هو ريفي وما هو حضري, الأمر الذي يمكن معه أن نضع كل مقومات الإنسان ونتائج نضاله مهما اختلفت خصائصها في أحد حلقات تلك السلسلة المتصلة والمتراصة. ولهذا نعتبر أن هذا المدخل الذي ينظر إلى الريف والحضر على أنهما علامتين على طريق واحد, مدخلاً مختلفاً إلى حد كبير عن المدخلين السابقين¹. ويقوم المتصل الريفي الحضري على شيين مهمين هما:

-**الشيء الأول:** المجتمعات المحلية التي تتدرج بصورة مستمرة ومنتظمة من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية, وفقاً لمجموعة من الخصائص المندرجة هي الأخرى والتي تتباين من مستوى مجتمعي إلى آخر في مدارج التحضر.

-**الشيء الثاني:** أن هذا التدرج يصاحبه بالضرورة تغاير في أنماط الحياة الاجتماعية, والثقافية والسياسية ونمط التنظيم الاقتصادي وإنتاجه وأساليبه, والتي تشكل حياة السكان مثل تلك السمات التي تحدث عنها سوروكين².

3-4- المدخل التاريخي:

تناول مفورد المدينة باعتبارها حقيقة تاريخية تراكمية في المكان والزمان, ومن هذا المنطلق فإن تاريخها يمكن استقراؤه من خلال مجموعة من التراكمات التاريخية.

¹ - غريب محمد سيد احمد, مرجع سابق, ص 55.

² - عبد الحميد بوقصاص, مرجع سابق, ص 45.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

ويرى مفورد أن قيام المدينة, أو بمعنى آخر تطور الشكل القروي إلى شكل حضري يرجع إلى عدة أسباب أو عوامل توضح دراستها التاريخية والتي تؤكد أن القرية هي الشكل السابق على قيام المدينة.

كما تناول مفورد المدينة من زاويتين سوسيولوجيتين هما:

- 1- زاوية المدينة كظاهرة حضرية اجتماعية.
- 2- زاوية المدينة كهيكل بنائي اجتماعي يقوم على بعض الأبعاد التي تميزه عن غيره من المدن ليس من حيث النوع وإنما من حيث الدرجة أساسا¹.

3-5- المدخل الايكولوجي:

ينهض التفسير الايكولوجي لظهور المدن, بدراسة توزيع السكان وعلاقته بنشاطهم في المكان الفيزيقي². وتهتم الايكولوجية عامة بدراسة العلاقات بين الإنسان و بيئته سواء كانت هذه العلاقات تعاونية أو تنافسية, وفي المدينة تهتم الايكولوجية بدراسة ما يلي:

- 1- دراسة التوزيع المساحي و الجغرافي للجماعات في المدينة ووظيفة كل جماعة.
- 2- دراسة العلاقات بين هذه الجماعات و كيفية تأثير هذه العلاقات في نمط التوزيع المساحي, والجغرافي للجماعات في المدينة.
- 3- دراسة الاختلافات الاقتصادية و الاجتماعية بين هذه الجماعات وأثرها في العلاقات بين جماعات المدينة.
- 4- دراسة علاقات التوزيع المساحي و الجغرافي للجماعات في المدينة, بالتوزيع المساحي والجغرافي للخدمات فيها.

- 5- دراسة ديناميكية تغير النظام الاجتماعي في المدينة و أثرها في التوزيع المساحي والجغرافي للجماعات فيها³.

4- وظائف المدينة:

1 - غريب محمد سيد أحمد, مرجع سابق, ص 55 .
2- قباري محمد إسماعيل, علم الاجتماع الحضري-مشكلات التهجير والتغيير والتنمية, منشأة المعارف, الإسكندرية, مصر, 1985, ص 304.
3 - حميد خروف وآخرون, الإشكالات النظرية والواقع- مجتمع المدينة نموذجا, دار البحث قسنطينة, الجزائر, 1999, ص 16.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

تعتبر المدينة بيئة فيزيقية ولكنها تنظم منذ البداية حول مزيد من التبادل في العديد من المجالات¹, بالإضافة إلى أن المدينة تتميز بمظهر وظيفي معين, سنحاول أن نذكر بعض وظائف المدينة على سبيل المثال لا الحصر لأنه هناك عدة تصنيفات لوظائف المدينة:

1-4- الوظيفة الإدارية:

لا يقتصر حكم المدينة على مقر السلطة العامة بل يشمل المنطقة التي حولها, أو يتسع إلى وحدة قومية أكبر, ولكي تفي المدينة بتلبية الإحتياجات الإدارية يجب أن تختلف تبعاً لنمط الإدارة.

بالإضافة إلى أن كفاءة المدن لا تقتصر على الجوانب الاقتصادية فحسب, ولكنها تتيح الفرصة لتراكم الأموال والخبرات واستثمارها في مجالات العلم والتعليم والفن والصحة².

2-4- الوظيفة التجارية:

الواقع أن المدينة منذ فجر تاريخها قد لعبت دوراً هاماً في تطوير وسائل الاتصال وتبادل السلع والخدمات بين الجماعات الاجتماعية المختلفة.

ومعنى ذلك أن المدينة قد ساعدت على تكثيف النشاطات التجارية, ولقد أوضح **ديكينسون** أن المدينة التجارية قد تحولت من مرحلة السوق التجاري إلى مرحلة التجارة الإقليمية حتى وصلت مرحلة التجارة العالمية, وأن التجارة كانت سبباً في مولد كثير من

المدن الصغيرة في أوروبا. ومع تقدم المواصلات الحديثة خلقت التجارة مدناً أشبه ما تكون بمستودعات جبارة توحى بأن العالم قد اجتمع فيها³.

3-4- الوظيفة الصناعية:

تختلف الوظيفة الصناعية عن الوظيفة التجارية للمدن, ذلك لأن الصناعة ليست في أصلها خلاقة للمدن بصفة دائمة, رغم أنها ذات دور مدني هام, فكل المدن التي نمت نمواً

1 - السيد عبد العاطي السيد , علم الاجتماع الحضري, الجزء الثاني دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, مصر, 2000, ص 34.

2 - غريب محمد سيد احمد, مرجع سابق, ص-ص 81-82.

3 - السيد الحسيني, المدينة- دراسة في علم الاجتماع الحضري- ط3, دار المعارف, الإسكندرية, مصر, 1985, ص 42.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

كبيراً في العصر الحديث شهدت تنمية صناعية كبيرة, ذلك لأن الصناعة تقوم معتمدة على المدينة ووسائل المواصلات, وتوفير الموارد وغير ذلك.

وفي ضوء تقسيم الصناعة إلى قسمين رئيسيين هما: الصناعة الاستخراجية, والصناعة التحويلية وهما يرتبطان بالمدن ارتباطاً كبيراً, فإنه يمكن تصنيف المدن الصناعية إلى فئتين رئيسيتين هما: مدن التعدين ومدن الصناعة التحويلية¹.

4-4- الوظيفة الثقافية والاجتماعية:

إن نمط حياة مجتمع المدينة يسمح بالتخصص سواء في الصناعات العادية والحرف والوسائل الفنية, أو في النواحي الأخرى من النشاط الثقافي الخلاق الذي لا يمكن أن يكون عاماً.

والنشاط الثقافي والحركات الاجتماعية بما في ذلك التطورات السياسية ليست مما يهم المدينة وحدها, بل هي ذات دلالة قومية وإقليمية. بل حتى ذات صفة عالمية ومن ثم تؤدي المدن عن طريق هذه الوظائف نوعاً من الخدمة لمجموعة أكبر كثيراً والفترة أبعد بكثير من الوقت الذي نشأت فيه الخدمة أساساً².

5- مشكلات المدينة:

تختلف المناطق الحضرية بعضها عن بعض, فهي تتباين في معدلات النمو الحضري وفي دوافع النمو, وقد فرض التحضر والنمو الحضري عدد من المشكلات التي أخذت

تهدد سلامة الإنسان, وبالتالي تختلف مشكلات المدينة في علاقتها بالتحضر من مجتمع إلى آخر, ومن مدينة إلى أخرى¹.

5-1- مشكلة الإسكان:

- أزمت حادة في الإسكان وخاصة في المدن الكبرى.
- المناطق المتدهورة: الأحياء القديمة التي تم بناؤها فيما مضى بالطوب والأسقف الخشبية مع حرمانها من المرافق الأساسية.

¹ - فتحي أبو عيانة, **جغرافية العمران**, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, مصر, 1992, ص-ص 265-266.

² - غريب محمد سيد احمد, مرجع سابق, ص-ص 84-85.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

- مدن الفقراء: أو أحياء السكن العشوائي (الصفيح والخشب والكرتون), وهي أحياء لا مرافق ولا خدمات فيها, تختلف نسبة سكان الأحياء الفقيرة من دولة إلى أخرى¹.

5-2- مشكلة النقل والاتصال:

- الازدحام وعرقلة المرور: تضيق الشوارع وتقل سرعة وسائل النقل, خاصة في ساعات الذروة.

- تكديس وازدحام وسائل النقل العام: مما يؤدي إلى تعطيلها ويقلل من عمرها الافتراضي.

- تنوع النقل: وجود أحدث السيارات إلى جانب الدراجات العادية, هذا التنوع أطلق عليه (كرنفال المرور).

- وسائل الاتصال: انخفاض نسبة أجهزة الاتصال التليفونية بالنسبة لعدد السكان في المدن الكبرى, وعدم الاتصال السريع يؤدي إلى حدوث كوارث ضخمة لم يتم السيطرة عليها مثل الحرائق والحوادث².

5-3- مشكلة التلوث:

5-3-1- التلوث السمعي (الضوضاء): يعد هذا النوع من التلوث من أهم عناصر تلوث البيئة في العصر الحديث, وإن كان لا يوجد منتشرا في كل مكان, إلا أنه يتركز

في المناطق الصناعية, وفي مناطق التجمعات السكانية المزدحمة بالسكان, وتتعدد مصادر الضجيج الذي تعاني منه المدن الكبيرة سواء من السيارات و المركبات ووسائل النقل, والورش والمحال الصناعية والأجهزة الصوتية كالمذياع و التلفزيون و مكبرات الصوت, ولعب الأطفال في الشوارع, وهي كلها ضوضاء تتسبب في إثارة أعصاب كثير من الناس, وتصيب الكثيرين بالإرهاق, وأحيانا فقدان السيطرة على ضبط النفس عند مواجهة هذا الضجيج المحيط بهم³.

¹ - حسين عبد الحميد رشوان, مشكلات المدينة - دراسة في علم الاجتماع الحضري-, مرجع سابق, ص 22.

² - مشكلات المدن, الباب الخامس, نقلا

عن: 46: 16: 17/02/2009.15 http://www.geocities.com/talila2010/mos/s.htm

³ - محمود عباس إبراهيم, التنمية والعشوائيات الحضرية, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, مصر, 2003, ص 221.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

5-3-2- تلوث الماء: إن المخلفات البشرية ومخلفات الصناعة, و المبيدات الحشرية هي من تصدير الإنسان الذي يعد هو المسؤول الأول عن التلوث, فهذه المخلفات عندما تلقى في الأنهار والبحار والمحيطات تلوث ما بها من كائنات, بالإضافة إلى اختلاط شبكات مياه الصرف الصحي بمياه الشرب.....الخ¹.

5-3-3- تلوث الهواء: تلوث الهواء هو عبارة عن الحالة التي يكون فيها الجو محتويا على مواد تعتبر ضارة بالإنسان أو بمكونات البيئة.

وأغلب العوامل المسببة لتلوث الهواء عوامل مستحدثة؛ من صنع الإنسان من قبيل الآلة التي ابتكرها ويستخدم فيها الوقود, والثورة الصناعية التي أقلت كميات هائلة من الأدخنة في السماء وغيرها من العوامل التي انتشرت, وتكاثرت نتيجة التطور الصناعي للبشرية².

5-4- انخفاض كفاءة المرافق:

5-4-1- مياه الشرب: تحليه مياه البحر, الاعتماد على المياه الجوفية, ونقل المياه عن طريق الأنابيب وكثيرا ما تنفجر هذه الأنابيب.

5-4-2- الكهرباء والطاقة: زيادة استهلاك الكهرباء في المدن الكبرى بمعدلات كبيرة, انقطاع التيار الكهربائي وحدوث مواقف حرجة خاصة في المستشفيات والمصانع, وأثناء مذاكرة الطلاب أيام الامتحان...الخ.

5-4-3- الصرف الصحي: تكاد تكون مدن الدول النامية محرومة منه, يؤدي عجز شبكات الصرف إما للضغط الشديد على استخدامها, أو لتآكلها إلى طفح في أجزاء من هذه الشبكات³.

5-5- القصور في الخدمات:

¹ - محمود عبد المولى, **البيئة والتلوث**, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, مصر, 2005, ص 28.
² - الشيخ خليل رزق, **الإسلام والبيئة-دراسة تسلط الضوء على موقف الإسلام وتشريعاته في مجال الحفاظ على البيئة**, دار الهادي, بيروت, لبنان, 2006, ص-ص 438-439.
³ - مشكلات المدن, الباب الخامس, نقلا

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

5-5-1- الخدمات التعليمية: تدفق المهاجرين من الريف إلى المدن, وظهور أحياء السكن العشوائي تؤدي في الكثير من الأحيان إلى انخفاض نسبة خدمات التعليم بالإضافة إلى ارتفاع كثافة الفصول, والعجز في هيئات التدريس, وارتفاع نسبة الأمية والتسرب المدرسي¹.

5-5-2- الخدمات الصحية: انتشار أمراض الصناعة, وعلى وجه الخصوص بالنسبة للأمراض الناتجة عن تلوث الهواء, أو تسرب الغازات السامة من المناطق الصناعية, كما يقع العديد من السكان فريسة للأمراض والأوبئة بسبب الاختلاط بالجمهير, وربما بسبب الفقر, مع عدم القدرة على التكيف مع أسلوب الحياة الجديدة, بالإضافة إلى المساكن العشوائية التي لا تتمتع غالبا بالمياه النقية الصالحة للشرب, أو شبكات الصرف الصحي².

5-5-3- الخدمات الثقافية: مثل المسارح وصالات العرض وقاعات الموسيقى, والمكتبات العامة غالبا ما تكون هذه الخدمات بعيدة عن وسط المدينة.

5-5-4- الخدمات الترفيهية: النوادي, الملاعب, الحدائق العامة, المساحات الخضراء³.

5-6- المشكلات البيئية والاجتماعية:

- يؤدي التلوث بجميع أنواعه, و أشكاله إلى انتشار الأمراض والأوبئة, ثقب الأوزون.
- انتشار البطالة يؤدي إلى الفقر, الانحراف...
- ظهور مشكلات اجتماعية كالسرقة, الجريمة المنظمة...

6- المدينة في الجزائر:

عرفت المدن الجزائرية الاستقرار البشري منذ القديم, لأن هذه الأخيرة كانت تلبى احتياجات الإنسان البسيطة (الماء, السكن, الحماية), إذ يرجع أغلب عمران المدن الجزائرية الموجودة حاليا إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي, حسب بقايا خلايا المدن, وقد

¹ - حسين عبد الحميد احمد رشوان, مشكلات المدينة - دراسة في علم الاجتماع الحضري, - مرجع سابق, ص 164.

² - المرجع سابق, ص-ص 171-172.

³ - مشكلات المدن, الباب الخامس, نقلا عن:

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

استطاع المقيمون بها أن يتحرروا من الحياة الريفية العادية, والنشاط الزراعي ليتفرغوا لأنشطة موازية مختلفة ومتخصصة, حرفية وتجارية, مكملة للنشاط الزراعي المتواجد بجوار هذه المستوطنات الحضرية, كما كانت هذه المراكز مصدر القرارات السياسية والعسكرية, و الإدارية التي تهم الجميع على الرغم من قلة عدد سكانها. ولقد تطورت بعض هذه المدن وتواصلت كما اندثر البعض منها, وانقرضت عبر التاريخ المملوء بالحروب, والاضطرابات تارة, والاستقرار والازدهار تارة أخرى, ونتيجة تعاقب الأجناس البشرية وحضارتها بدؤوا بالغزو الروماني, فالاجتياح الوندالي, ثم البيزنطي إلى الفتوحات الإسلامية وتسلسل الدويلات الإسلامية التي بسطت نفوذها على الجزائر مرورا بالحكم العثماني مع نهاية القرن الخامس عشر, أين ظهرت الحياة الحضرية في الجزائر بشكل بارز وأصبح للمدينة دورها الاجتماعي والاقتصادي, خاصة على المناطق الساحلية وكانت عاصمة إدارية للبلاد, وقسمت باقي البلاد إلى أقاليم يديرها أطراف تابعين للداي.

كما عرفت الشبكة العمرانية في الجزائر, إلى جانب الوسط الريفي والطبيعي في عهد الاستعمار الفرنسي, توجهها لخدمة الاقتصاد الفرنسي, فنزعت أراضي المواطنين الجزائريين وعملت على تفكير الجماعات الريفية, وإثارة وتشجيع مختلف الهجرات. وعلى الرغم مما وضعته الإدارة الفرنسية من مخططات عمرانية لمختلف المدن الجزائرية, إذ لم تستفد المدينة من برامج إسكان واسعة إلا ما بني من المصانع الصغيرة والإدارات والعمارات, وبعض المدن والقرى الجديدة, التي تضم قلاع ومراكز عسكرية وسعت فيما بعد لتصبح مدن عصرية على النمط الغربي, إلى جانب توسيع المدن الجزائرية التقليدية, التي تأوي الأهالي... وهذا على حساب الأراضي الزراعية الخصبة, ومن أجل مصالح الجالية الفرنسية وعمالها.

أما بعد خروج الاستعمار الفرنسي من الجزائر, بقيت الكثير من المدن شاغرة بالمدن التي امتلأت بطريقة فوضوية ولصالح الأقلية, مما ساعد بقسط في تميع الناحية الايكولوجية للمدن التي احتلتها حوالي 30% من مجموع السكان إلى جانب النمط الجديد من التنظيم الاقتصادي الموجه استعملت فيه وسائل التخطيط المركزي, وما أحدثته من تغييرات جذرية

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

في خريطة الجزائر حيث شيدت القرى الفلاحية التي كانت بمثابة نواة لمدن مصغرة في تطور, تحتوي على جميع المزايا الحضرية الأساسية التي غيرت من الطابع الفلاحي وعودت الفلاحين على حياة شبه حضرية, وقد تطورت هذه القرى لتصبح فيما بعد مراكز للبلديات أو للإدارات بعيدة كل البعد عن النشاط الزراعي, الذي أهمل في المشاريع التنموية التي ركزت على التصنيع الذي ساعد على نمو المراكز الحضرية دون نمو التجهيزات والمرافق الحضرية الضرورية, كما أدت إلى التوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية بشكل نظامي وأحيانا بشكل فوضوي وسط اضمحلال الشفافية في التوزيع والمراقبة, بين تجمع سكاني في المدينة(التصنيع), والقرية(الزراعة).

هنا بدأت المشاكل الاجتماعية الحضرية تظهر وزاد عدد الأحياء القصديرية التي أصبحت تمثل أشد وأقوى حالات أزمة السكان وشوهت الصورة الحضرية, وتلوثت البيئة, وانتشر اليأس والفقر والبطالة...

هكذا أصبحت المدينة الجزائرية ركاما من وحدات اقتصادية واجتماعية التي تنعدم فيها عوامل التكامل والتكيف الاجتماعي¹؛ حيث تعيش المدينة الجزائرية اليوم واقعا مؤزما وأهم مؤشراتته, تنامي البناء العشوائي بشكل سريع, والذي يعود إلى أسباب عديدة أهمها:

الضغط السكاني على المدن، افتقار هذه المدن إلى التصاميم الضرورية كتصاميم التهئية مثلا، ضعف مراقبة البلديات لقطاع التعمير على مستوى احترام التصاميم، التراخي في زجر المخالفات، انتشار المضاربات العقارية، وهي ظواهر جد خطيرة تؤثر تأثيرا بالغا على البيئات الحضرية، وتساهم في تلوينها على مستويات عديدة أهمها:

أ- اختلال التوازن بين المساحات المبنية والمساحات الخضراء.

ب- تدمير الحزام الأخضر للمدن.

ج- انتشار أحياء لا تتوفر على الشروط والمعايير الصحية الأساسية للسكن اللائق.

د- الافتقار إلى التجهيزات الأساسية المرتبطة بالصرف الصحي وجمع النفايات الصلبة.

¹ - طويل فتيحة, مرجع سابق, ص ص 11-12.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

وعموما فإن هذه العوامل تحول السكن العشوائي إلى أحد أخطر عوامل اختلال التوازن داخل البيئة الحضرية بالجزائر؛ حيث يسمح بتناسل علب إسمنتية تفتقر إلى التهوية الضرورية والإنارة الطبيعية الكافية، كما تفتقر إلى كل شروط السكن الصحي، مما يعرض حياة سكانها لآفات جد خطيرة¹.

نستنتج في نهاية هذا الفصل بأن المدينة هي المكان الذي يقطنه مجموعة من السكان غير المتجانسين لديهم أسلوب في الحياة من خلال تنشئتهم تنشئة اجتماعية تساعدهم على التكيف مع الحياة في المدينة، كما نستخلص أيضا بأن المدينة في نشأتها وتطورها مرت بعدة مراحل، فكانت أولى مراحلها هي مرحلة النشأة ونقصد بها فجر قيام المدينة، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة المدينة، تليها مرحلة المدينة الكبيرة حيث عرفت المدينة في هذه الفترة على أنها المدينة الأم لكثرة عدد السكان، وارتكاز العديد من النشاطات فيها كالنشاط الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي، بحيث تصبح بحق المدينة الأم.

أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة المدينة العظمى وهي مرحلة سقوط المدينة وانهيارها، وبروز الطبقة الرأسمالية، أما المرحلة الخامسة فهي مرحلة المدينة الطاغية في هذه المرحلة طغى النشاط الاقتصادي على كافة الأنشطة الأخرى، بعدها تأتي مرحلة المدينة المنهارة تمثل هذه الأخيرة نهاية المطاف في مراحل التطور التاريخي.

أما بالنسبة للمداخل التي درست المدينة فقد كانت متعددة نذكر منها: مدخل التحليل النموذجي، مدخل مركب السمات، مدخل المتصل الريفي الحضري، المدخل التاريخي ثم المدخل الأيكولوجي.

أما فيما يخص وظائف المدينة فقد تناولنا الوظيفة الإدارية، الوظيفة الصناعية، والوظائف الثقافية والاجتماعية.

كما يمكن أن نستنتج من خلال هذا الفصل بأن الحياة في المدينة تشوبها الكثير من المشكلات اصطلح على تسميتها بمشكلات المدينة، كمشكلة الإسكان، مشكلة النقل والاتصال، مشكلة التلوث، مشكلة القصور في الخدمات، ثم المشكلات البيئية والاجتماعية.

¹ - بورزق نوار، **تلوث البيئة الحضرية**، مركز نوار للبحوث والدراسات، ماجستير علم الاجتماع، تخصص بيئة، نقلا

عن: <http://bnouar.jeeran.com.20.04.2009.17:30>.

الفصل الرابع:.....المدينة ومشكلاتها

فمشكلات المدينة تختلف في علاقتها بالتحضر من مجتمع لآخر ومن مدينة لأخرى ,
ومهما اختلفت أسبابها فهي تؤثر سلبا على سلامة الإنسان والبيئة معا وتحيطهما بالكثير من
المخاطر والمشاكل وللحد من هذه المشكلات وغيرها , وحماية الإنسان والبيئة كان لابد من
وجود ثقافة بيئية.